

١ - مصطفى كمال

سيرة حياته

للطبيب الانجليزي ارسترونج

تلخيص وتعليق حنفي غالي

هنالك في الجي الثماني بسالونيك في بيت حقير مهتم ، قائم فوق أحد التلال في ظل حصن عتيق ، رأى الطفل مصطفى نور الحياة عام ١٨٨١ ، في عصر كانت الامبراطورية العثمانية تعالج سكرات الموت من جرائم الامراض الخلقية والاجتماعية التي تنخر فيها ، وتكاد تلفظ النفس الأخير ، لولا أن قضت السياسة الأوربية في ذلك الحين أن يبقى « الرجل المريض » ليدود اللب الرومي عن حياته ، وبحول دون امتداد طفيلانه حتى يوافيه أجله المحتوم . فكان العناية الآتية قد أرسلت الطفل العظيم في هذا العصر لتبصره بموطن الناء ، وتهيئه لتأدية رسالته لاقتاد أمته . كان أبوه علي ريزا رجلاً مغموراً أزعج من ألبانيا إلى سالونيك طلباً للعيش وسعيًا وراء القوت ، فاقبسم له الأمل فيها نوعاً ما ، واشتغل كاتباً بإدارة الدين الثماني ، ولم يكن مرتبه الضئيل ليقوم بمطالب أسرته ، فزاول تجارة تمينه على الحياة .

أما أمه زبيدة فكانت كسائر النساء المثلانيات ، قيصة البيت لا ترى نور الشمس إلا من كونه ، ولا تتادده إلا في رفقة أحد معارفها لتمود ذومها أو جيرانها الأقربين ، فظلت في ظلام دامس من الجهل يشنون العالم الخارجي لا تلم حتى بمبادئ القراءة والكتابة ، ولكنها كانت ربة أسرة بحق تعرف كيف تدبر أمورها بحزم ، وتسوسها بنظر بعيد ، في مزاجها شيء من الحدة ، وفي مجيها سيماء التبل والسيادة . يبرز في عروقها الدم الألباني باللم المقدوني ، وكانت أقرب إلى الرجولة في بنيانها ، مديدة القامة ، قوية الصحة ، وقد آثرت الحياة بجوار الريف الذي أحبته ونشأت في أحضانه ، فظل لها خلق أهله من إيمان عميق ووطنية صادقة ، واستمساك بالقديم ، وعقل رجيح صائب الحكم في مسائل الحياة الأولية ، وكانت ككل امرأة عثمانية تهب نفسها ،

وتصني ودها لزوجها وأطفالها الثلاثة الذين توفي أحدهم في طفولته ، ولم يبق سوى مصطفى وأخته مكبولاً

كان مصطفى هزيبلاً نحيلاً ، وكان طفلاً في سنه ، كهلاً في خلقه . فلتت ترى فيه جدل الأطفال ومرحهم . بل وقار الرجال ووزانتهم ، وكان عصي النفس عسير القياد ، كثير التمرد على أوامر والده ، فإذا همت بتأديبه نار واهتاج ، وكان قليل المخالطة لدهاته من الأطفال مستقلاً بنفسه عنهم ، اعتزل أبوه منصبه فأراد أن يملئه الأتجار ليساعده ويعينه ، ولكن أمه أرادت أن تتفقه في دينه ، فأرسل إلى مكتب ليتعلم مبادئ القراءة والكتابة ويستظهر القرآن . ثم إلى مدرسة شمس أفندي حيث بدت بواكب نبوغه .

وفي ذلك الحين جفت الأسرة بموت عائلتها ، فأضحت في فقر مدقع ، ويؤس ملج ، فلجأت زبيدة إلى أخيها فأوى إليها وعطف عليها ، واحتضن مصطفى وأخرجه من المدرسة وأبقاه معه ، وناط به رعى الماشية وإطعامها ، ومال الفتى إلى هذا اللون من الحياة واطمأن إليه ، إذ كسب منه قوة في بنيته ومثابة في صحته ، ولم تزده الأيام إلا حباله وشغفًا به ، وإياه لكل ما يري إلى انتزاعه منه ، ولكن الأم الحكيمة لم تنزل على هوى الفتى الشرير ، فأغرقت أختها لها بالأناق على تعليمه وكان لها ذلك . ألحق فتاناً مرغماً باحدى مدارس سالونيك ، فألقى البون شاسماً بين حياته الأولى الحرة الطليقة ، وبين حياته الجديدة السجينة القيدة ، فأضحى دأب الثورة كثير التبرم بنظام الدرس ، ولكنه ظل كما كان شديد الإعجاب بنفسه ، كثير التفاخر على أقرانه ، قليل المخالطة لهم حتى في ألعابهم المدرسية ، فإذا هوى بمضايقته والتعشر به ، فأضلمهم بشدة ، وردد على أعقابهم مدحورين ، فاشتد بنفهم له ونفورهم منه وإنكارهم لكبرائه ، حتى اشتبكوا في شجار معه وشكوه إلى أحد المدرسين فصغفه صفقة أطارت صوابه ، ففر من المدرسة وعاد إلى ذراعي أمه ، وعبثاً حاولت أن تبيده إليها رغم توسلها بالترغيب حيناً وبالارهاب أحياناً ، فاقترح خاله إرساله إلى المدرسة الحربية بسالونيك ، لأن التعليم فيها لا يكلفهم من النفقات كثيراً ولا قليلاً ، وهي تحت رعاية السلطان عبد الحميد ، فإذا ظهر تقوى الفتى ارتفع إلى مرتبة ضابط ، وإلا التحق جندياً بالحرس السلطاني . فستقبله على أي حال واضح مأمون . وما كانت الأم لترضى بهذا

مشهد ومكة

بقلم الأستاذ أمين الخولي

الدرس بكلية الآداب

سارت الرسالة في عددها التاسع والحسين ، بكلمة ناقدة للأستاذ عبد الزهاب عزام ، عن كتاب « جولة في ربوع الشرق الأدنى » للرحالة محمد ثابت ، وقد غناني من هذه الكلمة تفطيم الأستاذ عزام خطأ الرحالة في قوله عن شيعة إيران : إنهم ينزلون مشهداً على مكة ؛ فنشطت لكتابة هذه الكلمة لأنصافاً للناقد أو التقود ، فهذا شيء قد يكون عند غيري حساباً ، إنما عنت بذلك ثلاث : إحداهن حب الحقيقة ، وإنها حقيقة أن تبتني لذاتها ، ويحمل إلى الناس تصحيح ما خلفها تطوعاً . وثانيهن : أن في هذا الحديث عن تفصيل الشيعة مشهداً على مكة مثلاً شيئاً طريفاً للباحث النفسى عن فرق مابين العقيدة والفكرة ، وصلة مابين العقل بمنطقه ، والاعتقاد بسلطانه . كما أن أمثال هذه الحقائق النفسية هي الأصول القوية لتفسير التاريخ تفسيراً صحيحاً صادقاً . والثالثة : أننا حين نعمل جادين ، وندعو بحسين للوحدة الإسلامية ، وتقريب مابين الشعوب الإسلامية على تنائي وديارها ، واختلاف أقطارها ، يجب أن نعرف الحقائق على ما قد يكون لها من قسوة وشدة ، إذ لاغناء في إنكارها ، ولاخير لنا في تناسيها أو نسيانها .

قال الأستاذ الناقد « وأقطع من هذا كله قوله عن إخواننا شيعة إيران ، إنهم يفضلون مشهداً على مكة ، وكيف يعقل أن أمة مسلحة شديدة النيرة على دينها تعتقد أن الحج إلى مكة فرض ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، كيف يعقل أن هذه الأمة ترى زيارة مشهد أفضل من الحج إلى مكة ؟ . ربما بالغ عامة الإيرانيين في تعظيم مشهد وغيرها من المزارات الشريفة ، كما يبالغ المصريون في تعظيم مسجد سيدنا الحسين ، والسيدة زينب ، والسيّد البدوي ، وإبراهيم الدسوقي : ولكن عمل العامة لا تفسر به عقائد الأمة .

أو تحيل إليه ، إذ كانت تريده فقيهاً على غرارها في التقي والوزع ، ولكن فنانا الثائر نال منه الاقتراح كل منال ، وأخذ منه كل ما أخذ ، فما كانت نفسه الطموح لتقنع بما تريده الأم . بل هو يريد أن يرئدى حلة الجنديّة التي يرتديها تربه أحمد ابن أحد جيرانهم ، ويخطر بها غادياً راحماً في زهو وإعجاب ، ويعني نفسه بأن يكون ضابطاً يصدر أوامره فيتلقاها مرثوسوه بالأذعان والخضوع ، ولم يطل بفتاناً الأنتظار بل عول على نفسه في تحقيق غايته . فلجأ إلى ضابط متقاعد من معارف أبيه ، وزجأه أن يكون ولي أمره لدى المدرسة المذكورة . ثم تقدم للامتحان فجازه ، والتحق بها دون أن تعلم أمه من الأمر شيئاً ، وهكذا أرادت الأم شيئاً وأراد الله شيئاً آخر ، فكانت إرادته جلت قدرته أرحم بالفتى وبأتمته من الأم الورعة الزاهدة ، وفي المدرسة وجد الفرصة التي هيأتها له الأقدار في عالمها المحجوب ، فبرزت مواهبه رائحة في الرياضة وسائر العلوم الحريسة ، أما خلقه فظل كما هو ، بل زاد مزاجه حدة وطبعه تمرداً ، بثور لأقل تقد بوجه إليه ، أو لوم يلقى عليه ، وكان يجب دائماً أن يكون قبلة الأنتظار ومدار الحديث ، ولم يكن أبضاً إليه من أن يرى نفسه خاملاً ذاهباً في غمرة الاهمال ، إذ كان شديد الشعور بشخصيته ، قوى الأحساس بارتفاعها عن أقرانه ، حتى كان يرد من حاول الأتصال به منهم قائلاً « أنا لا أريد أن أكون واحداً من أمثالكم » وعضى في سبيله قدماً لا يلوى على شيء ، كذلك كان لرغبته الملحة في التفوق والتبريز ، شديد الحسد لكل من يذمه منهم ، ولعلك تعجب حين تعلم أن هذا الفتى الجاق الخلق القظ الطباع يلمب الفرام برأسه ، فيرى دائماً يخطر في أبيه ملايبه وأزهاها ، مداعباً للفتيات منازل لمن ، محاولاً الاستيلاء على قلوبهن ، ولكن لم العجب ؟ أوليست هي الطبيعة تأتي إلا أن تبرز العظيم في جميع أدوار حياته نمطاً شاذاً ؟

ومهما يكن من أمر فنانا فقد نبغ نبوغاً لفت نظر أحد أساتذته واسمه مصطفى ، فاختره مشرفاً على إحدى الفرق الصغرى ووكّل إليه إلقاء بعض الدروس ، ولتشافه الأسخين ميز الأستاذ تلميذه بإضافة اسم كمال ، فأصبح يعرف منذ ذلك الحين باسم مصطفى كمال ، وقد تخرج في المدرسة في سن السابعة عشرة . ثم أرسل إلى المدرسة الحربية العليا بموناستير

هنري غالي

(يتبع)